القمامة او كنيسة القيامة

L'Église du St-Sépulcre ou la Qumâmah

القمامة : من اقدم كنائس النصارى في بيت المقدس . وقد اختلف المؤلفون والكتبة والاخباريون في سبب هذه التسمية قال صاحب تاج العروس في مادة ق م م . وفي نصه مدمج كلام الفيروزابادي وهو المحصور بين هلالين ما هذا بحروفه :

« قمامة (نصرانية بنت ديراً بالقدس فسمي باسمها) والصحيح انه سمي باسم ما يلقى من قماش البيت . وذلك ان السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله تعالى لما فتح بيت المقدس رأى المسجد الاقصى مهجورا فامر بكنسه وتنظيفه واخراج قمامته وطرحها في هذا الدير فسمي به لذلك . وهذه النصرانية اسمها هيلانة وهي ام قسطنطين الملك . وهي قد بنت عدة ديور في ايام ملك ولدها منها بالرها وغيرها . فتأمل ذلك . وقد رأيت هذا الدير الذي ببيت المقدس وقد يعظمه النصارى على اختلاف مللهم كثيرا ما عدا طائفة الافرنج » انتهى كلام السيد مرتضى .

فهذا الكلام يشعر بان الكنيسة المذكورة لم تسم باسم قمامة إلّا بعد ان امر صلاح الدين بالقاء قمامة المسجد الاقصى فيها او في الدير تبعا لعبارته . والذي نعلمه ان صلاح الدين الايوبي توفي في سنة ١١٩٣ م واسم قمامة (او القمامة) كان معروفا قبل ذلك العهد . اذ ذكره المسعودي في كتابه مروج الذهب (١ : ١١١ من طبعة الافرنج) حين يقول : « وابتدأ سليمان [الحكيم] بناء بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله . فلما استتم بناؤه ابتنى لنفسه بيتا وهو الذي يسمى في وقتنا « كنيسة القمامة » وهي الكنيسة العظمى في بيت المقدس عند النصارى » اه كلامه . والحال اننا نعلم ان المسعودي توفي سنة ٩٥٧ م اي باكثر من مائتي سنة قبل صلاح الدين . اذن فكلام المرتضى في غير محله .

وذكر ابن الاثير بعد المسعودي هذه الكنيسة ايضا . (وابن الاثير ولد في الجزيرة في ٥٥٥ هـ ١١٦٠ م . وتوفي في الموصل في سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٤) فقال . (١ . ١١٤ من طبعة المطبعة الكبرى سنة ١٢٩٠) فسارت [هيلانا] الى البيت المقدس واخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها وجعلت ذلك اليوم عيداً فهو « عيدالصليب » وبنت الكنيسة المعروفة « بقمامة » وتسمى « القيامة » وهي الى وقتنا هذا يحجها انواع النصارى » اه .

وفي كلام كل من المجد الفيروزابادي والسيد مرتضى الزبيدي وهم آخر هو انهما لم يدخلا أداة التعريف على « قمامة » وجميع المؤرخين يذكرونها محلاة بها .

ولعل ثم وهما ثالثا هو ان « القمامة » اسم الكنيسة لا الدير . وان كان يلاصقها دير هو دون البيعة خطورة وشأنا .

ومن ذكر القمامة ابن خلدون (المولود سنة ١٣٣٢ م والمتوفى سنة ١٤٠٦م قال (١ : ١٤٩) وكانت امه [ام قسطنطين] هيلانة صالحة فاخذت بدين المسيح لثنتين وعشرين سنة من ملك قسطنطين ابنها . وجاءت الى مكان الصليب فوقفت عليه وترحمت وسألت عن الخشبة التي صلب عليها بزعمهم فاخبرت بما فعل اليهود فيها . وانهم دفنوها وجعلوا مكانها مطرحا للقمامة والنجاسة والجيف والقاذورات فاستعظمت ذلك واستخرجت تلك الخشبة التي صلب عليها بزعمهم . وقيل من علامتها ان يمسها ذو العاهة فيعافى لوقته . فطهرتها وطيبتها وغشتها بالذهب والحرير ورفعتها عندها للتبرك بها وامرت ببناء كنيسة هائلة بمكان الخشبة تزعم انها قبره . وهي التي تسمى لهذا العهد « قمامة (١) » وخربت مسجد بني اسرائيل وامرت بان تلقى القاذورات والكناسات على الصخرة التي كانت عليها القبة التي هي قبلة اليهود الى ان ازال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عند فتح المقدس » اه .

وقد نشر الاب لويس شيخو اليسوعي هذه القطعة المتعلقة بالقمامة في الجزء الثاني من مجاني الادب ص ٣٠٨ وهذا نص ما اورده ، ذيالك النص الذي قال

١) في حاشية النسخة المطبوعة في بولاق : كان اسمها « قيامة » فحرفوها قمامة » المخطط قاله نصر [المورتيني الواقف على طبع الكتاب] .

في ختامه : رواه ابن خلدون عن ابن الراهب :

« ثم شخصت هيلانة ام قسطنطين لزيارة بيت المقدس فسألت عن موضع الصليب فاخبرها مقاريوس الاسقف ان اليهود اهالوا عليه التراب والزبل . ثم استخرجت ثلاثة من الخشب وسألت ايتها خشبة المسيح . فقال لهـا الاسقف : علامتها ان الميت يحيا بمسيسها . فصدقت ذلك بتجربتها . واتخذ النصارى ذلك اليوم عيداً لوجود الصليب . وبنت على الموضع كنيسة القمامة وامرت مقاريوس الاسقف ببناء الكنائس اه ما نقله الاب رحمه الله . فاين النقـل من الاصل ؟ وكتبه كلها على هذا الطرز .

وقد انكر بعض النصارى ان يكون اسم الكنيسة « قمامة » لان هذا اللفظ مما يحقرها . وليست رواية مسألة القـاء القمامة في ذلك الموضع إلّا حديث خرافة . قلنا : اما ان القمامة كانت تلقى هناك . فليست رواية اسلامية حديثة بل رواية قديمة كما اشرنا اليها وهي ليست اسلامية فقط بل نصرانية ايضا على ما تشهد به جميع مدونات الاخبار التي الفها اخبار النصرانية في اي لغة كانت . وقد الف المعلم لومون الفرنسي سفراً في التاريخ استخرجـه الى العربية الخوري يوسف داود وطبعه في الموصل سنة ١٨٧٣ وسماه مختصر تواريخ الكنيسة ودونك ما جاء فيه في ص ١٣٥ وما يليها :

« وكانت امه هيلانة الملكة تعادله في توقير القدس الشريف . فانطلقت الى بلاد فلسطين ولو انهـا كانت في نحو عمر الثمـانين سنة . فلما بلغت الى اورشليم [بيت المقدس] اخذها شوق عظيم الى وجود عود الصليب الذي صلب عليـه مخلص العالم . وكان وجوده صعباً جداً . لان الوثنيين رغبة ان يمحوا ذكر قيامة المسيح من العالم . كانوا قد كوموا تراباً كثيراً على موضع قبره . ثم سطحوه . وبنوا فوقه هيكلا لواحدة من الاهاتهم ليحملوا النصارى على ان يغفلوا عن زيارة ذلك الموضع . ولكن هيلانة لم تفشل . بل شاورت في هـذا الامر شيوخ اورشليم . فقالوا لها : « ان امكنك ان تجدي قبر المسيح . فهناك صليبه وسائر الادوات التي عذب بها » . وقـد كان عند اليهود عادة ان يدفنوا مع الميت المقتول بامر الحكم الاداة التي بها قتل .

« فامرت الملكة ان يهدموا الهيكل الصنمي المبني على موضع قبر المخلص ثم نظفوا الموضع وشرعوا يحفرون حتى وجدوا المغارة التي كان فيها مدفن المسيح . ووجدوا عند المدفن ثلاثة صلبان والكتابة التي كانت قد وضعت على صليب المسيح مفصولة عنه والمسامير التي سمر بها جسده فبقي الامر ان يعرفوا أي من الثلاثة هو صليب المسيح . فاشار مقاريوس اسقف اورشليم الى الملكة ان يقربوا الصلبان الثلاثة الى رجل طريح بمرض عضال . فشرعوا يصلون ووضعوا على رأس المريض الصلبان الثلاثة الواحدة بعد الاخر . وكانت الملكة حاضرة وهي خاشعة متحرمة واهل المدينة كلهم ينظرون نهاية الامر . اما الصليب الاول والثاني فلم يظهر منهما شيء . واما الصليب الثالث فلما ادنوه من المريض شفي المريض لساعته وقام متعافيا . وحكى سوزومنس [من ابناء القرن الخامس للميلاد] المؤرخ ان ذلك الصليب الثالث وضعوه ايضاً على ميت فرجع الى الحياة وروى ايضا بولينس [من ابناء اواخر المائة الخامسة للميلاد] . فلما اطلعت هيلانة الملكة على صليب المسيح الحقيقي ارتفشت فرحاً [كذا . اي ابتهجت فرحاً] واخذت جزءاً من ذلك العود المقدس ،لتذهب به الى ابنها قسطنطينس . واما الباقي فوضعته في صندوق من فضة . ودفعته الى اسقف اورشليم ، ليوضع في الكنيسة التي كان قسطنطينس امر ان تشيد على محل قبر المخلص » انتهى كلام لومون الفرنسي المترجم الى العربية .

ونحن لا نريد ان نتوسع في هذا الموضوع اكثر من هذا . انما الكلام على ان القمامة او قمامة او القيامة او قيامة المسيح مما قد جرى على السن الكتبة والاخباريين والمؤرخين وليس في قول القائل: « القمامة» ادنى تحقير لانها تشير الى ما كانت عليه قبل البناية لا الى ما بعدها اذ نصوص المؤرخين والاخباريين صريحة على ما اوردنا بعضا منها. اما بعد بناية الكنيسة فتسمى كنيسة القيامة او العامة (١)

١) ليسمح لنا القراء هنا ما ينتج من سوء العواقب عند طبع دواوين اللغة وعدم العناية بتصحيح ما يقع فيها من الاوهام ، فقد جاء في تاج العروس مستدرك مادة « ع م م » ما هذا نصه : « والعمامة : القحط العام وايضا القيامة لانها تعم الناس بالموت اه . والعارف باللغة يشعر ان في هذه الكلمة تصحيفا ظاهراً اذ ليس في معنى العمامة ما يدل على العموم. والصواب العامة بتشديد الميم . وهي اللغة التي اوردها صاحب اللسان. قال في مادة ع م م : وفي الحديث

لان العامة وردت بهذا المعنى فلتحفظ . واما بالفرنسية فيقال :
Eglise du St. Sépulcre.

البرثون في كتب العرب

Le Parthénon.

كنا قد ذكرنا في هذه المجلة (٦ : ٢٠٢) ان البرثون سماه بعض السلف « فرتنى » وقلنا انه ورد كذلك في احد الكتب المطبوعة ولم نجده الى الآن إلّا اننا ظفرنا بمن سماه «برثون » وهو ابن النديم في كتابه الفهرست اذ يقول في ص ٢٤٦ س ٣٠ ما هذا مثاله : « وكان ابوه [ابو ارسطوطاليس] نيقوماخس متطبباً لفيلبس ابي الاسكندر وهو من تلاميذ افلاطن . قال بطلميوس : ان اسلامه الى افلاطن كان بوحي من الله تعالى في هيكل بوثيون(كذا) ... » اه.

وقد ذكر ناشره غستاف فلوجل ما جاء من اختلاف الروايات في النسخ الخطية من كتاب الفهرست فقال : وقد ورد هذا العلم بصور مختلفة منها : يوبثون وبوسون وبوشون وبوسون وثوبون وذكره ابن ابي اصيبعة في(١:٥٤) بوثيون ويرى فلوجل ان الاصل اليوناني هو Puthion بتقدير Hieron وهو هيكل افلون الفوتي في فوثون اي دلفي المعروفة اليوم باسم كستري من مدن فوقيدة على المنحدر الجنوبي الغربي من الفرناس . وكل ذلك لا يوافق الهيكل الذي قيل عنه ان فيه اوحي الى أفلاطن اسلام ارسطو اليه بل يوافق البرثون او الفرثون او فرتنى Parthénon وتفصيل صحة هذه التسمية يطول نبسطها لمن يعاند في قبول هذا الرأي .

بادروا بالاعمال ستا كذا وكذا وخويصة احدكم وامر العامة . اراد بالعامة القيامة لانها تعم الناس بالموت اي بادروا بالاعمال موت احدكم والقيامة » اه وهي عبارة ابن الاثير في نهايته بنصها وفصها من غير ان يشير الى مأخذها . اذن العمامة بمعنى العامة اي القيامة من خطأ الطبع الواقع في تاج العروس بلا ادنى شبهة .

على ان صاحب القرب الوارد نقل نص التاج ونسبه الى اللسان (كذا) وهذه عبارته الواردة في الذيل : « العمامة [بكسر الاول] القحط والقيامة لانها تعم الناس بالموت (اللسان) اه . فالنقل واضح الغلط كما ذكرناه ولم يكن هذا الوهم في النجدي طبعته الاولى . اما في طبعته الخامسة فقد نقله عن ذيل القرب الوارد اذ قال : « العمامة أيضاً القحط . القيامة لانها تعم الناس » فانظر كيف « عم توبا الناعس » .